الانزياح الاستبدالي والتركيبي

(وصف أم معبد للنبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً)

أيمن مصطفى طه سلطان

أستاذ مساعد – قسم اللغة العربية – كلية التربية – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – السودان

مستخلص الدراسة

هدفت هذه الدِّراسة لمعرفة ظاهرة الانزياح فى وصف أم معْبَد للنَّبي صلَّى الله عليه وسلم ، من خلال التَّعرُّف على مفهومه، ووظيفته ، وأنواعه ، وكذلك المعايير التي وضعها الأسلوبيون للانزياح وذلك بتحديد المستوى العادي للغة الذي يحْدث عنه الانزياح. وتعرَّضت الدِّراسة على مايحققه الانزياح فى تمييز اللُّغة الأدبية ومنحها خصوصيتها عن طريق انحراف الكلام عن النسق المألوف ويظهر هذا بوضوح في وصف أم معبد للنَّبي صلى الله عليه وسلم في بلاغة لامثيل لها ، امتازت بدقَّة التَّصوير وجمال الأسلوب. واتبع الباحث فى هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، وتوصل إلى نتائج منها:

- أنَّ مصطلح الانزياح شائع فى التراث العربي القديم ولكن بمسميات مختلفة.
- أنَّ أسلوب أم معبد فريد فى بلاغته ،وتراكيبه مما جعله ينزاح عن اللُّغة المألوفة.

Displacement of Substitution and Compositional in Umm Ma'bad's Description of the prophet Muhammad (Peace be upon him)

Ayman Mustafa Taha Sultan
Assistant professor – Department of Arabac language – Faculty of Education– Sudan University of Science & Technology– Sudan.

Abstract

The study aimed at finding out the phenomenon of semantic displacement in the description of the prophet Muhammad (peace be upon him) by Umm Ma'bad , through identifying its concept, function and types. Furthermore, the standards set out by stylists for semantic displacement and the ordinary designation of language identified by it. The study also subjected to what could be achieved by semantic displacement in distinguishing the literal language and granting it sort of privacy via the deflection of speech in unfamiliar layout. All this could be clearly seen in the very accurate, eloquent description of the prophet Muhammed (peace be upon him) by Umm Ma'bad. The researcher utilizes the analytical descriptive approach. The study concluded that the displacement is a common term in the ancient Arabic heritage but under various names. Umm Ma'bad's style is unique in its eloquence and constructions what makes it displaced from the familiar language use.

المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (التوبة ١٢٨) والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ مصطلح الانزياح من المصطلحات الشائعة في كثير من الدراسات الأسلوبية المعاصرة، وهو حدث لغوي وخروج عن النسق المألوف للكلام، وخلق إبداعي يظهر في تركيب الكلام وصياغته، وهو أسلوب ملازم للخطاب الأدبي، يكشف عن لفت انتباه القاريء، والتأثير في المتلقي ببيان المفارقة بين الدلالة السطحية، والدلالة العميقة. وقد رأيت أن يتعلق موضوع هذه الدراسة بأفضل خلقه أجمعين، وقوفاً عند صفاته الخَلقية والخُلقية التي هي أكثر من أن يحيط بها كتاب لنتعرف على بعضها من خلال وصف هذه البدوية الذي جاء في معاني سامية، وأوصاف بديعة، ودقة في التصوير. ومعنوناً للدراسة بالانزياح الاستبدالي والتركيبي في وصف أم معبد للنبي صلى الله عليه وسلم، مستخدماً المنهج الوصفي التحليلي لإبراز جمال هذا الوصف وإظهار محاسنه.

أساله تعالى أنْ يجعلنا من أهل شفاعته، الصادقين في محبته، السائرين على منهاجه وأتمثَّل أخيراً بأبيات ابن السراح الشنتريني:

وما أبرئُ نفسي إنَّني بَشِرٌ ... أسْهُو وأُخْطِئ مَا لَمْ يَحْمِنِي قَدَرُ

وَلَنْ تَرَى عُذْراً أوْلَى بذي زَلَلٍ ... مِنْ أنْ يقولَ مُقِرَّاً إنني بَشَرُ

قال ابن منظور: نَزَحَ الشَّيءُ يَنْزَحُ نَزْحاً ونُزوحاً: بَعُدَ. وشَيءٌ نُزُحٌ ونَزُوحٌ: نَازِحٌ.

أنشد ثعلبٌ:

إنَّ المذلَّةَ مَنْزِلٌ نُزُحٌ ... عَنْ دَارِ قَوْمِكَ فاتْرُكِي شَتْمِي

ونَزَحَتِ الدَّارُ وهِي تَنْزِحُ نُزُوحاً إذا بَعُدَتْ. وقومٌ منازيحُ.

قال ابن سِيدَةَ وقَوْلُ أبي ذؤيب:

وصـرَّح المـوتُ عـنْ غُلْـبٍ كـأنَّهمُ جُـرْبٌ يُـدَافِعُهَا الـسَّاقِي مَنَـازِيحُ

إنَّما هو جَمْعُ مِنزاح وهِي التي تأتي إلى الماءِ عن بُعْد، ونَزَحَ به وأنْزَحَهُ. وبَلَدٌ نَازِحٌ، ووَصْلٌ نَازِحٌ: بَعِيد، وفي حديث سَطيح:

عبد المسيح جاء من بلدٍ نَزِيحٍ

أي بعيد، فعيل بمعنى فاعل.

ونَزَحَ البئْر يَنْزِحها ويَنْزَحُها نَزْحاً، وأنْزَحَها إذا اسْتقى ما فيها حتى يَنْفد، وقيل: حتَّى يَقِلَّ ماؤها. ونَزَحَتِ البئرُ ونَكِزَتْ تَنْزِحُ نَزْحاً ونُزُوحاً فهي نازِحٌ ونُزُحٌ ونُزُوحٌ: نَفِدَ ماؤها، قال الليث: والصَّواب عندنا نُزِحَتِ البئرُ إذا اسْتُقِيَ ماؤها. وفي الحديث: أنَّه نَزَلَ الحديبيةَ وهِي نَزَحٌ.

والنَّزَحُ بالتحريك: البئرُ التي أُخِذَ ماؤها، يُقال: نَزَحَتِ البئرُ ونَزَحْتُهَا، لازِمٌ ومُتَعَد، ومن حديث ابن المسيب قال لقتادة: ارْحَلْ عَنِّي فَلَقَدْ نَزَحْتَنِي

أي أنْفَدْتَ ما عِنْدِي.

الجوهري. وبِئْرٌ نَزُوحٌ قليلةُ المَاءِ، ورَكايا نُزُح. والنَّزَحُ بالتحرك: البئر التي نُزح أكثر مائِها. قال الرَّاجِزُ:

وجمعُ النَّزَحِ أنزاحٌ وجمعُ النزوحِ نُزُح(ابن منظور، 1414هـ).

هذا يعني أنَّ الانزياح عند اللغويين بمعنى البعد والانتقال من مكان إلى آخر وهذا لا يُعارض مفهومه الاصطلاحي وهو الانتقال من معنى إلى آخر.

الانزياح في الاصطلاح:

ورد الانزياح عند النُّقاد والأسلوبيين بمعانٍ كثيرة، ممَّا أدَّى إلى تباين تعريفاتهم له وربما يكون (جان كوهين) أوَّل من خصَّ هذا المصطلح بحديث مستفيض في مجال حديثه عن لغة الشعر، ولكن أورده بلفظ آخر وهو (الانحراف) وهو رصْد الانتهاك الذي يحدث في الصياغة. (كوهين، 1986).

أمَّا في مجال الدراسات الأدبية المعاصرة، فيمكن أنْ يكون عبد السلام المسدي أول من استخدم المصطلح تحت اسم (الانزياح) ترجمةً عن اللفظ الفرنسي (Ecart) ليعني به تارة التجاوز وأخرى العدول (المسدي، 1993).

ومن تعريفات المحدثين، أنَّه نوع من الخطاب الأدبي المغاير للخطاب العادي، وذلك بتوصيل المعلومات، ونقل الأحاسيس، وإظهار الانفعالات عن طريق الخروج عن النمط المألوف للغة (سليمان، 1990).

ويدرس أحمد ويس(2003) الانزياح ويعرفه بأنَّه "استعمال المبدع للغة مفرداتٍ وتراكيبَ وصوراً استعمالاً يخرج به عمَّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدِّي ما ينبغي له أنْ يتَّصف به من تفرُّد وإبداع وقوة جذب وأسر".

ومن التعريفات "هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وحدث يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، يمكن بواسطته التعرُّف على طبيعة الأسلوب الأدبي، ويمكن كذلك اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته". (بوخاتم، 2001).

والذي يتَّضح لنا من خلال ما تقدَّم أنَّ الانزياح هو الإتيان بالكلام بعيداً عن نسقه المألوف، وهذا لا يتسنى إلا للمبدع الذي يختار لصناعة وصياغة كلامه طريقة فنيَّة خاصَّة في التعبير مغايرة للنَّمط المألوف الذي تعارف عليه الناس، وذلك بابتداع صيغ جديدة، وأساليب تُخرج أسلوبه عن الأسلوب العادي المعتاد. وقد تعامل الأسلوبيون مع اللُّغة على أساس أنها ذات مستويين:

الأول: مستواها المثالي (العادي) ويتجلى في هيمنة الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب.

الثاني: مستواها الإبداعي (الفني) الذي يخرق الاستعمال المألوف للغة. (عبد المطلب، 1984).

والمستوى الثاني ينتهك صيغ الأساليب الجاهزة ،ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيراً خاصاً في المتلقي. فالمستوى العادي هو الذي يعتمد النَّحو التقعيدي في تشكيل عناصره، كما يعتمد اللغة في تنسيق هذه

العناصر، وثمرة الترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللُّغويون هو ظهور مثالية اللغة في استخدامها المألوف، وهي مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية، وهي وراء كثير من المقولات النظرية في الدراسات النحوية واللغوية لتقسيم الكلام. (عبد المطلب، 1984).

فالنُّحاة واللُّغويون حرصوا على اللُّغة المثالية في مستواها العادي، ولكن النُّقَّاد والبلاغيين، قد حرصوا على اللغة الفنيَّة وهذه الصفة هي المغايرة أو الانزياح؛ لأنَّهم لا يحرصون على إبراز الكلام في صرامة ودقة كما يفعل النُّحاة، بل يسيرون في اتجاه آخر يقوم على انتهاك هذه المثالية والانزياح عنها في الأداء، وهو لا يعني جهل النقاد والبلاغيين بمثالية المستوى العادي من اللغة الذي أقامه اللغويون والنحاة، بل إن هذا المستوى بمثاليته، لم يغب عن أذهانهم لحظة واحدة، لسبب يسير هو أنَّهم جعلوا منه مرآة ينعكس عليها انزياح المستوى الفني، ومعياراً يقيسون إليه مقدار هذا الانزياح، ولهذا كان وعيهم على التركيز به في مثل قولهم: (أصل المعنى) و(رعاية الأصل)، لكن اعتدادهم بهذا الأصل لا يتجاوز مجرد الإشارة إليه ؛لأنَّه يخلو – في نظرهم – من أي قيمة فنيَّة، فإذا كان النَّحوي يهتم بما يفيد أصل المعنى، فإن البلاغي يبدأ منطقة حركته فيما يلي هذه الإفادة من عناصر جمالية. (راضي، 2003).

وما تقدم كذلك لا يعني عدم مقدرة النحاة واللغويين على انتهاك المثالية اللغوية ولكنهم اختاروا المستوى الذي يعنيهم الاشتغال به ورعايته. ونستطيع أن نضرب مثلاً لظاهرة الانزياح بالمعنى المألوفَّ (اللَّيْلُ مُظْلِمٌ) فإننا بهذا نتكلم كما يتكلم الناس، ولكن عندما نقول كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ ﴾ (التكوير17- 18)، فإننا نسجل حدثاً أسلوبياً، وذلك لأنَّ السمات النحوية التي تضمنها الفعلان (عسعس)، (تنفس)، هي غير السمات التي تضمنها الأسمان (الصبح)، (الليل). (النوري، 2008).

نشأة الانزياح:

بعد أن قام الباحث بتعريف مفهوم الانزياح، لابُدَّ من طرح السؤال التالي: هل عرِف الأقدمون الانزياح؟ وللإجابة عن السؤال السَّالف نقول: إنَّ ظاهرة الانزياح ليست خاصَّة بالنقد الحديث، فإذا كان مصطلح الانزياح، من حيث هو مصطلح أسلوبي، حديث النشأة إلا أنه يرتدُّ في أصوله إلى (أرسطو) وإلى ما تلاه من بلاغة ونقد.

فأمَّا (أرسطو) فقد مازج بين لغة عادية مألوفة وأخرى غير مألوفة، ورأى أن اللُّغة التي تنحو إلى الإغراب وتتفادى العبارات الشائعة هي اللُّغة الأدبية، يقول: "وجودة العبارة في أن تكون واضحة غير مبتذلة، فالعبارة المؤلَّفة من الأسماء الأصلية هي أوضح العبارات، ولكنها مبتذلة، أمَّا العبارة السامية الخالية من السوقية فهي التي تستخدم ألفاظاً غير مألوفة. وأعني بالألفاظ غير المألوفة الغريب والمستعار والمحدود وكل ما بَعُدَ عن الاستعمال وذلك بتحوير هيئة الكلمات عن أوضاعها الأصلية والخروج عن الاستعمال العادي". (طاليس، 1967).

و المتأمل لكلام الفيلسوف السابق يلمح أنَّه يعني الانزياح وذلك باستخدام عبارات غير مألوفة، وهذا تم شرحه سابقاً.

وشبه (كوينتليان) الخلاف بين اللُّغة الأدبية واللُّغة النمطية بالخلاف بين جسد متحرك تبدو الحياة من خلاله وجسد ساكن غير معبِّر عن شيء من الحياة، (ويس، 2003). ويرى أحد الباحثين المحدثين إلى أنَّ بذور الانزياح موجودة في التراث العربي القديم وذلك من خلال بعض الإشارات التي يصح اتخاذها مؤشراً دالاً على حضور فكرة الانزياح عند العرب، في تلك الفترة المبكرة التي لم تتضح فيها بوادر الفكر النَّقدي القائم على القوانين والنظريات.

ومن هذه الإشارات قول حسان بن ثابت في بيت شهير له:

لا أسرِقُ الشُّعراءَ ما نطقوا ❖❖❖❖ بَلْ لا يوافِقُ شعرُهُم شِعْري (ابن ثابت ، 1974).

ومؤدَّى هذا أنَّ (حسان) قد انزاح في شعره عن سائر الشِّعر بحيث انعدم التوافق بينهما من أي وجه كان. (النوري ، 2008).

وأصل زعم الباحث جاء من خلاله شرحه لبيت حسان رضي الله عنه في أنَّ شعره يخالف المألوف عند الشعراء وينزاح عنه.

أمَّا في الأدب العربي فأول من استخدم هذا المصطلح هو عبد السلام المسدي وهو ترجمة للمصطلح الفرنسي (ECart).

الانزياح وتعدد المصطلحات:

تعلَّقت بمفهوم الانزياح مصطلحات عدَّة، وأوصاف كثيرة، ومن المؤكَّد أنَّها تتفاوت فيما بينها في الدَّلالة على المفهوم.

وأورد عبد السلام المسدي طائفةً من تلك المصطلحات، ذاكراً أمام كل واحد منها صاحبه وذلك على النحو التالي:

الانزياح	لفاليري
التجاوز	لفاليري
الانحراف	لسبيتزر
الاختلال	لويك ووارين
الإطاحة	لباتيار
المخالفة	لبتري
الشناعة	لبارت
الانتهاك	لكوهن
خرق السنن	لتودوروف
اللَّحن	لتودوروف
العصيان	لارجون
التحريف	لجماعومو

المصدر: عبد السلام المسدي، 1993م ،ص31.

ونجد في عرض عدنان لكتاب (المدخل إلى التحليل الألسني للشعر عدة مصطلحات أيضاً لم يذكرها المسدي وهي: (الجسارة اللغوية، الغرابة، والابتكار والخلق) (أبو الحسن ، 2010) نقلاً عن المسدي (2003). وثمة مصطلحات وأوصاف أخرى يمكن أنْ تُضاف إلى ما مضى مثل، الانكسار، وانكسار النمط، التكسير، والكسر، وكسر البناء، والانزلاق، والاختراق، والتناقص، والمفارقة، والتناحر، ومزج الأضداد، والإخلال، والاختلال، والخلل، والانحناء، والتقريب، والاستطراد، والأصالة، والاختلاف، وفجوة التوتر. (مجلة مجمع اللغة العربية، 1964). ويظهر لنا أنَّ هذه المصطلحات الكثيرة لم يكن لها ذيوع أو تداول بين الباحثين، وأما المصطلحات الرئيسة فهي ثلاثة: الانحراف، والعدول، والانزياح.

الانحراف:

ترجمة للمصطلح (deviation) وهو موجود في اللغتين الانجليزية والفرنسية، ولكنَّه أكثر دوراناً في الانجليزية، كما أنَّه ورد كثيراً في حقول وسياقات أخرى ليست بأسلوبية ولا نقدية، وفي أكثرها يحمل بعداً غير إيجابي. وقد يرد في معنى الميل والابتعاد عن المعنى الفني مساوياً للخطأ والعقم، وبمعنى الشذوذ والخروج على الحق والصَّواب، كما ذكر بمعنى التحريف والفهم الخاطئ، وورد كذلك للدلالة على عاهات النطق وبعض الأمراض النفسية، وفساد السلوك كذلك (ويس، 2003).
والذي يتَّضح أنَّ الانحراف ليست الكلمة المثلى للتعبير عن مفهوم الانزياح. (ويس، 2003).

العدول:

عدل عن الشيء يعدل عدْلاً، أي حاد، وعدل: أخذ من طريق غير طريقه. (ابن منظور، 1414هـ). وهذا المصطلح كثير الورود في سياقات غير بلاغية وفنية، فعند القاضي الجرجاني: "إن المتأخر اجتذبه الإفراط إلى النقص وعدل به إلى الإسراف نحو الذم".

وورد عن أبي هلال العسكري "من عيوب المديح عدول المادح عن الفضائل النفسانية إلى أوصاف الجسم". وورد عن الزمخشري "قيل للمخطئ لاحن؛ لأنه يعدل بالكلام عن الصواب" (ويس، 2003).

الانزياح:

ويقع في مرتبة ثانية بعد الانحراف من حيث شيوع استعماله لدى الأسلوبيين والنقاد العرب، وهو ترجمة حرفية للصفة (Ecart) قال المسدي: "وعلى هذا المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز. (المسدي، 1993).

والذين استعملوا الانزياح اعتمدوا على ثقافة فرنسية، والذين استعملوا الانحراف اعتمدوا على المصادر الإنجليزية فهي لا تحتوي إلا كلمة (Deviation) وهي كلمة تناسبها كلمة الانحراف (Ecart) وهي فرنسية لا توجد في الإنجليزية. (ويس، 2003).
ومن خلال ما تقدَّم يمكن اعتبار لفظة (الانزياح) بأنَّها وردت عند الأسلوبيين بمعنى فني، وهذا لا يوقع في اللَّبس.

ويرى أحمد ويس أنَّ مصطلح التغريب (Defamiliarization) هو من أقوى المصطلحات صلة بالانزياح، استدلالاً بتعريف (آن جفرسون) أنَّه مضاد لما هو معتاد وهو حديث أوردَتْه في سياق حديثها عن الشكلانية الروسية، وورد على نحو خاص عن (شكلوفسكي) أحد أعمدة الشكلانية. (ويس، 2003).

ويرى أحد الباحثين أن المعنى السَّالف أشار إليه (حافظ الشيرازي) في القرن الثامن للهجرة، وعبر عنه باللغة الفارسية بعبارة (خلاف آمد عادت) عندما قال:

در خلاف آمد عادت بطلب كام كه من ❖❖❖❖ كسب جمعيت از آن زلف پريشان كروم وترجمته:

وجرت العادة على ما نعهد، فاطلب رغبتك وما تريد فقد اجتمع خاطري وكسبت الهدوء في طيات ذؤابتك المبعثرة المنفوشة. (نظري، 1392هـ).

أنواع الانزياح:

لا ينحصر الانزياح في جزء من أجزاء النَّص الأدبي، وإنَّما يشمل أجزاء متعددة فيه، وهذا دليل على أهمية الانزياح، وقد تحدث الباحثون عن أنواع الانزياح حتى أوصلها البعض إلى أكثر من العشر.

ولكنَّ الراجح أنَّ الانزياح نوعان رئيسيان تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح، وهما:

الانزياح الاستبدالي:

وهو ما يتعلق فيه الانزياح بجوهر المادة اللغوية وسماه (جان كوهين) بهذا الاسم، وهو أكثر المستويات اللغوية مرونة، وقد أسماه البعض بالانحراف، يقول صلاح فضل: "الانحراف الاستبدالي يخرج على قواعد الاختيار للرموز اللغوية كمثل وضع الفرد مكان الجمع أو الصفة مكان الاسم أو اللفظ الغريب بدل المألوف". (صلاح، 1989). ويمثَّل هذا النوع عند (جان كوهين) خرقاً لقانون اللُّغة أي انزياحاً لغوياً يمكن أنْ ندعوه كما تدعوه صور البلاغة وهو الذي يزوِّد الشعرية بموضوعها الحقيقي. (ويس، 2003).

وتمثِّل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح، وهو مجال التعبيرات المجازية التصويرية من تشبيه واستعارة. (صلاح، 1989).

ولم يصرِّح (كوهين) في كلامه السَّالف بالاستعارة تصريحاً واضحاً، فإنَّه في موضع آخر يعزو لها كل فضل للشعر، فنجده يقول: "إن المنبع الأساسي لكل شعر هو مجاز المجازات، هو الاستعارة". (ويس، 2003). وهي عنده أبلغ الصور الأخرى لدرجة أنَّه عدَّها هي التي تزود الشِّعرية بموضوعها الحقيقي، وأنَّها المنبع الأساسي لكل شعر، فهي ضرب من ضروب المجاز، والمجاز في جوهره انحراف عن الاستخدام العادي للغة وذلك باستعمال الكلمة في غير ما وضعت له أو إسنادها إلى ما لا ينبغي أن تُسْند إليه في النظام المألوف للغة.

الانزياح التركيبي:

وهو يتَّصل بالسلسلة السِّياقية الخطية للإشارات اللُّغوية، عندما تخرج على قواعد النّظم والتركيب مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات. (صلاح، 1989).

ويحدث مثل هذا النوع من الانزياح في الرَّبط بين الدَّوال بعضها ببعض في العبارة الواحدة أو في التركيب والفقرة.

وتركيب العبارة الأدبيَّة عامَّة والشِّعرية منها خاصَّة يختلف عن تركيبها في الكلام العادي أو في النثر العلمي. وعلى هذا تكاد تخلو كلمات الكلام العادي والنثر العلمي إفراداً وتركيباً من كل ميزة أو قيمة جمالية. (ويس، 2003).

ومن التَّعريفات للانزياح التَّركيبي أنَّه إخضاع العناصر اللِّسانية في الخطاب المنطوق أو المكتوب لسلطة الطبيعة الخطيّة للغة، التي تسير وفقها القوانين وتعتمد الإجراء التأليفي بين العناصر المتتالية، هذا التعاقب أو التوالي يُطْلق عليه محور التركيب إذ الخروج عنه يسمى انزياحاً تركيبياً. (عبد القادر، 2010).

وهذا النوع يتمثَّل في التَّقديم والتَّأخير، وهذا وثيق الصِّلة بقواعد النَّحو حتى إنَّ كوهين سمى الانزياح الناتج من التَّقديم والتَّأخير بالانزياح النَّحوي، وممَّا يدخل ضمن هذا النَّوع الانتقال من أسلوب إلى آخر انتقالاً مفاجئاً.

وبالإضافة إلى التَّقديم والتَّأخير ثمَّة تغييرات تدخل ضمن هذا النَّوع منها الحذف والإضافة، فالحذف هو إسقاط أحد عناصر التَّركيب اللغوي، والإضافة تتمثَّل في ذكر أشياء أخرى، ومع هذا لا يعدان انزياحاً إلا إذا حقَّقا غرابة ومفاجأة أو حمل قيمة جمالية ما. (عبد القادر، 2010).

معيار الانزياح:

بعد أنْ وقفنا على مفهوم الانزياح ووظيفته، لابدَّ من تحديد المعيار الذي يحدث عنه الانزياح، وبيان المستوى العادي للغة الذي يحدث عنه الانزياح. وهذا الأمر ليس بالسهل؛ لأنَّ الباحثين لم يتفقوا على هذا المعيار، ولكنَّ الأسلوبيين وضَّحوا هذا المعيار من

خلال الحديث عن اللُّغة العاديَّة ممَّا أسماه (رولان مارت) درجة الصفر في الكتابة. (رولان، 1970).

ويمكن القول إنَّ معيار الانزياح يكون بالتفريق بين الكلام العادي وغير المألوف، وهذا يرجع إلى المتلقّي وحسّه اللغوي، ولعلَّ تفاوت المتلقّين في فهمهم يصعِّب من تحديد معيار الانزياح. وكما أنَّ لكلِّ متلقٍّ مزاجاً وطبيعة.

ومؤدَّى هذا المعيار يمكن أنْ نعتمده على كثير من المتلقين الذين لديهم معرفة بالأجناس الأدبية، علماً بأنَّ أحكامهم قد تتفاوت، ولكن قد تكون مؤشِّراً لهذا المعيار.

أم معبد ووصف النبي صلى الله عليه وسلم:

أم مَعْبَد:

هي عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة. وقيل: عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة ابن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن سلوك بن كعب بن ربيعة الخزاعية. وهي أم معبد كُنِيَتْ بابنها معبد، وكان زوجها أكثم بن أبي الجون الخزاعي وهو أبو معبد (ابن الأثير).

واختلف في اسم زوج أم معبد، فقيل اسمه حبيش.

وقال صاحب الطبقات: كان منزلها بقديد (الزهري)

قال البغدادي: بايعتْ النبيَّ صلى الله عليه وسلم مر بها في الهجرة، ويقال بعد ذلك قَدِمَت المدينة وبايعت بعد الهجرة. (البغدادي، 1983).

وكانت تجري عليها كسوة وشيء من غلة اليمن وقطران لإبلها فمر بها عثمان رضي الله عنه فقالت: أين كسوتي وأين غلة اليمن التي كانت تأتيني؟ فقال: هي لك يا أم معبد واتبعها حتى أعطاها إياها. (الطبراني، 1983).

حديث أم معبد:

أخرج البغوي وابن شاهين والطبراني وصححه البيهقي وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام عن حبيش بن خالد عن أبيه عن جدَّه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر عامر بن فُهَيْرَة ودليلهما الليثي عبد الله بن الأُرَيْقِط مروا على خيمة أم مَعْبَد الخزاعية وكانت برزة[1] جلدة تحتبي بفناء القبَّة ثم تطعم وتسقي.

فسألوها لحماً وتمراً ليشتروه منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وكان القوم مرملين مسنتين. فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كسر الخيمة، فقال ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: خلفها الجهد عن الغنم، قال: وهل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين أنْ أحلبها، فقالت: بلى بأبي أنت وأمي نعم إنْ رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعَها، وسمى الله، ودعا لها في شاتها، فتفاجَّتْ عليه ودرت واجترت، ودعا بإناء يربض الرهط، فحلب فيها ثجًّا حتى علاه النهاء، ثم سقاها حتى روت، وسقى أصحابه حتى رووا، وشرب آخرهم – صلى الله عليه وسلم، ثم أراضوا، ثم حلب فيها ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، ثم بايعها، وارتحلوا عنها، فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً تساوكن هزلاً ضحى مخهن قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال ولا حلوبة في البيت؟، قالت: لا، والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. (البغوي، 1983).

وصف أم معبد:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يمتاز من جمال خلقه وكمال خلقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر. وما أحبوه كذلك إلا لأنَّ أنصبته من الكمال الذي يحبب عادة لم يرزق بمثلها بشر، وفيما يلي نورد بعضاً من الأوصاف التي قيلت في وصفه صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك قول البراء بن عازب: (كان صلى الله

[1] برزة : كهلة لا تحتجب احتجاب الشواب

عليه وسلم رجلاً مربوعاً بعيد ما بين المنكبين عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه). وقال عليٌّ رضي الله عنه لم يكن النبي بالطويل ولا بالقصير لم أرَ قبله ولا بعده مثله) وقال أبو هريرة:(ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم).(ابن هشام، 1411هـ). وقال أبو طالب يصفه:

وأبيض يُسْتسقى الغمام بوجهه ❖❖❖❖ ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ولكن لم يستطع أحدٌ أنْ يرسم صورته صلَّى الله عليه وسلم كما رسمته هذه البدويَّة في الصحراء لما في وصفها من دقة الألفاظ وجمال الأسلوب وجودة السبك وربما هذا يرجع إلى أنَّ جماله صلى الله عليه وسلم ستره الله بالهيبة والجلال والوقار، فما كان أصحابه ينظرون إلى وجهه أضف إلى ذلك أنّ المرأة تجيد وصف الرجل فضلاً عن أنَّها لم تكن تعرفْه من قبل.

قالت أم معبد وهي تصف النبي صلى الله عليه وسلم: مرَّ بنا رجل ظاهر الوضاءة، أبْلَج الوجه، حَسَّن الخلق، لم تُعِبْه ثُجْلَة، ولم تُزرِْ به صَعْلَة، وسيم قسيم، في عينيه دَعَج، وفي أشفاره وَطَف، وفي صوته صَهَل، وفي عنقه سَطَع، أحْوَر، أكْحَل، أزَج، أقْرَن، شديد سواد الشَّعر، إذا صَمَتَ علاه الوقار، وإنْ تَكَلَّم علاه البَهَاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحْسَنَه من قريب، حلو المنطقِ، فصْل، لا نزر ولا هزر كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن، ربعة، لا تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مُفْنِد، قال أبو معبد هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره. (البغدادي، 1983).

الانزياح الاستبدالي في وصف أم معبد

ومما يندرج في الانزياح الاستبدالي

أولاً :الانزياح الاستعاري:

الاستعارة في اللغة مأخوذة من العارية، والعارية والعارة ما تداوله الناس بينهم، واستعاره الشيئ واستعاره منه: طلبه منه أن يعيره أيَّاه (ابن منظور، 1414هـ) وعرّفها أبوهلال العسكري بأنَّها نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلي غيره لغرض(العسكري، 1984) وهذا يعني أنَّها كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي.

ووردت الاستعارة في قول أم مَعْبَد (لم تعبْه ثُجْلة) والثُّجْلة والثَّجَلُ عِظم البطن (ولم تُزر به صُقلة) والصُّقْلَة والصَّقَلُ وهو الخصر وقيل ضُمْرة وقلة لحم، والمعنى إنَّه لم يكن منتفخ البطن.

ففي قولها (لم تعبه ثجلة) أسندت العيب للثجلة وليس من صفاتها ولعل الانزياح حدث للفظ (ترى) أو في معناه، فقد حُذفت، واستعيرت كلمة (تُعِبْه) للدلالة عليها ويمكن توضيح هذا الانزياح بالشكل التالي:

الدال	المدلول الأول	المدلول الثاني
تعبه	عظمة البطن	ترى

والذي سوَّغ الانزياح عن المدلول الأوَّل الحقيقي للفظ (تعبه) إلى المدلول المجازي، وهو عظم البطن، هذه العلاقة هي المشابهة بين العيب وعظم البطن، فعظم البطن يُفضي إلي العيب، والرؤية تؤدي إلي العيب كذلك، وسر الانزياح عن الحقيقة إلي المجاز يكمن في أنَّ رؤية الثلجة ينتج عنها ألفاظ كثيرة وقد حققتها لفظة تعبه، وقد لا تسد هذه الألفاظ مسدَّها وذلك لبيان أنَّ كل عيب هو بعيد عنه صلى الله عليه وسلم.

ونلمح الانزياح الاستعاري كذلك في قولها " لم تزر به صُقلة" حيث انزاحت عن لفظ (تَظْهر) أو ما في معناها إلى الفعل (تزري)؛ لأنَّ الصقلة ليس من خائصها التحقير؛ ولعلَّ المسوِّغ لهذا الانزياح أنَّ ظهور انتفاخ البطن يدل على تحقير الناس، إذن اختيار الكلمتين فيه عَرْض حسي لهذه الصفات وهو إبراز المعنوي في الصورة الحسية.

وتأمل في قولها " وإن صَمَتَ فعليه الوقار وإن تكلّم سما وعلاه البهاء" فكأنَّ الوقار وهو معنوي قد أُبرز في صورة محسوس يُرى عليه ويغطيه، وكذلك كيف جسَّدت لفظ (البهاء) وهو معنوي في أنه يتحرك فيه من أسفل إلى أعلى حتى يسمو ويعلوه ويغطيه كاملاً، فأصل الكلام، إذا أبصرته توقَّره، ولكن التعبير انزاح إلي (سما وعلاه)، ولعلَّ مسوَّغ الانزياح في هاتين اللفظتين ، أن الوقار كأنما حطَّ رحله عنده صلى الله عليه وسلم حتى غطَّاه.

ثانياً: الانزياح الكنائي:

هي مصدر كني يكنو ويكني: أي ستر (ابن منظور، 1414هـ)

واصطلاحاً: لفظ أُطلق ،وأُريد لازم معناه " القزويني 1993 " فهي تعبير له خصائصه وأسراره، وهذا نجده في قولها (ظاهر الوضاءة) وهي مصدر الوضيء ، وهذا اللفظ يقود المتلقّي إلي المكني عنه وهو الحسن والنظافة والجمال ، والوضاءة وهو الحسن " النظيف" (ابن منظور) فهذه الكملة هي انزياح ويمكن أن نستعير أحد الأشكال في توضيح ذلك:

المعنى الحقيقي	الوسيط	المكني عنه
ظاهر الوضاءة	المتلقي	الحسن و النظافة و الجمال

ولعل هذه الصياغة تهدف إلى وصفه صلى الله عليه وسلم بالحسن والجمال وممَّا ورد كذلك من صور الانزياح الكنائي قولها " لم تعبه ثجلة ولم تزرِ به صقلة" والثجلة: عظم البطن وسعته، والصقلة : صغر في الرأس، وبمعنى الدِّقة والنحول.

قال الشاعر:

❖❖❖ نَفى عَنْها المصيفَ وصار صَعْلاً ❖❖❖

أي خفَّ جسمه وضَمُر

وقد هدف هذا الانزياح إلى رسم صورة النبي صلى الله عليه وسلم أي لم يكن ضخم البطن، ولا يعيبه صغر في الرأس ولا خفة ولا نحول في البدن وكان مستوياً بطنه

بلا كرش، واستخدام هذه الألفاظ الكنائيَّة كان بهدف إعطاء الحقيقة مصحوبةً بالدليل والبرهان وهذا من سر جمال الكناية عند البلاغيين. وهذا نلمحه من سياق الكلام الذي أبرز هذه المعاني الكنائية الحقيقيَّة المستقرة في البنية العميقة وهذا من خلال النظر في التركيب وربطه بسياق الكلام.

ونلمح الانزياح الكنائي في أجزاء النَّص وذلك للتنبيه إلى عظمة وجمال وكمال النبي صلى الله عليه وسلم، مثال ذلك قولها " في عينيه دعج " أي شدة سوادها مع سعتها وفي أشفاره وَطَف" وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين " وفي صوته صَحَل" أي بحّة " و " في لحيته كثاثة" و (وأحور – أكحل – أزج) فالحور لاشتداد بياض العين وسوادها كعيون الظبي، والزجج هو تقوس الحواجب مع طول امتداد، وأقرن: هو المتصل الحواجب و" في عنقه سطح" أي : طول شديد سواد الشعر و " حلو المنطق فضل لا نزر ولا هزر"

أي كلامه بين وسط ليس بالقليل ولا بالكثير " ولا تقحمه عين من قصر " وهذه الكنايات جميعاً جاءت للتنبيه إلي جمال وكمال وعظمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن هذا الانزياح الكنائي يجعل المتلقي متشوِّقاً لمعرفة ما يخفيه من معانٍ ودلالات متوارية، وراء المعنى المجازي الكنائي، وعندها يشعر بالمتعة عندما يدرك أنَّ وراء هذه الألفاظ معانٍ أخرى ترفع من قيمة المعنى البعيد الذي تشير إليه.

قال الجرجاني: " إن الصفة إذا لم تأتك مصرِّحاً بذكرها ، مكشوفاً عن وجهها ولكن مدلولاً عليها بغيرها ، كان ذلك أفخم لشأنها، وألطف لمكانها، وفي ذلك نوع من الفضل والمزيَّة، والحسن والرونق" (النوري، 2008) (نقلاً عن الجرجاني 1992م).

ثالثاً: الانزياح المعجمي:

يتمثل في الألفاظ التي تلتقي مع بعضها بعلاقة شبه الترادف، ولكن إذا اشتركت بعض الألفاظ في معنى أساسي عام، انفرد بعضها بنوع من خصوصية التعبير والإيحاء، وهذا ما يسميه المعاصرون بالدلالة المعجمية أو المركزية، بمعنى أن المساحة الدَّلالية

التي يتبؤها اللفظ تكاد تكون مطابقة للمساحة الدَّلالية التي يتبؤها اللفظ الآخر، ولكن المطابقة غير التامة هي التي تقضي إلى اختصاص كل لفظ بمزيد معنى، أو اختصاص كل واحد بملمح يكون مميزاً له، ودليلاً عليه، الأمر الذي يجعل الانزياح عن أحد الألفاظ إلى رديفه في الدلالة العامَّة يعود إلى ملاءمة كل _منهما بدلالته الخاصة _للموقع الذي أوثر فيه من سياق الكلام. (غالب، 2008) فإذا قلنا: ولج الرَّجُلُ بَيتَ جارِه، فالسامع يظنُّ أنَّه دخل ليسرق أو لنيل مطلب ما.

وورد مثل هذا الانزياح في مواطن كثيرة في أسلوب القرآن الكريم، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ (طه77- 78). فإذا رصدنا حركة الصياغة في شكل تخطيطي فإنَّها تكون على النَّحو التالي:

البنية السَّطحية: البحر ← مكان مائي (عكس البر)
تماثل مدلول اللفظتين
اليم ← مكان مائي (عكس البر)

البنية العميقة: البحر ← مصدر خير ونعمة
اختلاف مدلول اللفظتين
مصدر شر و هلاك ← اليم

فآثر السياق القرآني لفظة (البحر) في الآية الأولى، ثم آثر الانزياح عنها إلى لفظة (اليم) في الآية الثانية، ومن المعلوم أنَّ المراد باليم نفسه المراد بالبحر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ (طه: ٧٧ - ٧٨) ولكن هذا الانزياح يكشف لنا عن بلاغة القرآن في اختيار اللفظ المناسب؛ لأنَّ البحر هو المكان الواسع، أمَّا اليم فهو البحر، وزاد الليث: الذي لا يُدْرك قعره؛ فالبحر فيه نعمة الإنجاء، أمَّا اليم ففيه نِقْمة الإغراق، وهذا فرق دلالي بين اللفظتين. (النوري، 2008). ولعل ما ذهب

إليه الباحث هو الصواب فكلمة البحر تدور في الغالب حول النِّعم كقوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ (المائدة: ٩٦) أما سياقات لفظة (اليم) فتدور في غالبها حول الهلاك كقوله: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ (الأعراف 136) ويظهر لنا أنَّ أم مَعْبَد انزاحت ألفاظُها في دلالات معجمية دقيقة وذلك في قولها: "ظاهر الوضاءة أبلج الوجه" إنَّ الانزياح عن لفظ (الوضاءة) إلى لفظة (أبلج) يكْشف لنا سليقةَ أم مَعْبَد للتعبير عمَّا هو مراد، فكل لفظة وردت كانت أكثر مواءمة للسياق الذي جاءت فيه، فدلالة الوضاءة هي الحسن والبهجة، وهنا تناسبها كلمة (ظاهر) فالحسن أو القبح يظهر لك عند النظر، أمَّا (أبلج) فتعني مُسْفِره مُشْرِقه، لذلك قيل للحق أبْلَجَ أي لا تخْفَى معالِمُه كالشمس تظهر في نور وإبلاج، ومن معاني الأبلج هو النطق بالمعروف فكأنَّك إذا رأيْتَ وجْهَهُ رأيْتُ فيه الحق.

قالت الخنساء:

كأنْ لَمْ يَقُلْ أهلاً لطالبِ حاجةٍ ❖❖❖❖ وكان بليجَ الوجهِ مُنْشَرِحَ الصَّدْر

وفي المثل: الحَقُّ أبْلَج والباطِلُ لَجْلَج

ويبدو لنا أنَّها استخدمت أبلج، لما تحمله من معان كثيرة منها إشراق الوجه، وظهور الحق فيه. وإذا رصدنا حركة الصياغة في شكل تخطيطي فإنها تكون كالآتي:

البنية السطحية ظاهر الوضاءة ← (مشرق حسن)
تماثل مدلول اللفظتين
أبلج الوجه ← (مشرق حسن)
البنية العميقة ظاهر الوضاءة ← (مشرق حسن)
زيادة أحدهما على الآخر في المعني
أبلج ← مشرق، مضيء – طلق – ظاهر – فيه الحق

ومن تلك المواطن قولها: "إذا صَمَتَ علاه الوقار، وإنْ تكلّم علاه البهاء" فعند الصَّمت علاه الوقار، وعند التكلم علاه البهاء، ولعلَّ من خلال هذين اللفظين نستطيع أنْ ندرك مغزى المخالفة، فالوقار هو الحلم والرزانة أي ساكن هاديء، تقول للوقور عليه السكون والسكون، قال أبو عريف الكلبي:

للّه قبر غالها ماذا يُجنن ❖❖❖❖ لقد أحنَّ سكينةً ووقارا

فالوقور لا تعرفه إلا من خلال صمته لما تراه عليه من السكينة والرزانة،وهذا يرجع لهيبته صلّ اللّه عليه وسلم، أمَّا البهاء وهو الحسن،فيكون عند كلامه، فالإنسان إذا تكلَّم يظهر عليه التعب والإعياء، ولكن موصوفها هنا عند التكلم يعلوه البهاء، ولا ترى عليه أثر ذلك بل يروقك روعة وحسناً وبهاء عند الرؤية لما فيه من جليّ المنظر والقول.

ونختم عرضنا للانزياح المعجمي في وصف أم معبد بقولها: "أبهاهم من بعيد، وأحسنه من قريب" وهذان الانزياحان في كلمة أبهاهم، وأحسنه، فاختارت البهاء مع البعد، والحسن مع القرب، فهما يدلان على جمال وكمال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. فالناس من بعيد لا تميِّز بينهم إلا بعلامة ظاهرة، فاختارت لفظة البهاء التي تدل على ما يملأ العين روعة وحسناً، وهي تدل على العلو على الجلساء حسنه وفي هذا أفضلية على غيره، أمَّا القريب فيظهر حسنه وجماله عند التأمل، وهذا هو الذي أميل إليه في سر هذا الانزياح.

رابعاً: الانزياح التركيبي:

يشمل هذا الانزياح أجزاء عديدة في النَّص وهنا نقف على بعض مظاهر هذا الانزياح التي وردت في وصف أم معبد.

الانزياح في صيغ الأفعال:

والذي يُلاحظ في هذا الوصف هو الانزياح عن النمط المألوف للفعل من حيث التصرُّف في الأزمنة، كأنْ تنزاح عن الأمر إلى المضارع، وهذا يكشف عن تصادم

الأزمنة في البنية السطحية، ممّا يدفع المتلقّي إلى الانتباه، والتفاعل مع النَّص، ومحاولة إعادة التوافق بين صيغ الأفعال وأزمنتها في البنية العميقة؛ لأنَّ هذه البنية تستصحب المطابقة في أزمنة الفعل في السياق اللغوي (النوري، 2008).

ولكن تناولنا لهذه الافعال، من حيث السياق التركيبي، ولعل أبرز صورة في الوصف قولها: "إذا أمر تبادروا" ويتجسد هذا الانزياح من الفعل الماضي (أمر) إلى الفعل المضارع (تبادروا) والذي يفسر هذا الانزياح ما بين الفعلين في الدلالة على الحدث، هو انتقال الفعل الماضي (أمر) إلى صيغة المضارع (تبادروا) وذلك للتركيز على نتيجة الفعل (أمر) المتمثلة في صورة أصحابه، وهم يتبادرون إلى ما أمر به ودلالة بصيغة تفاعل التي تدل على المشاركة، وهذا يدل على توقيرهم وتبجيلهم له جميعاً، لهذا جاء تذييل الوصف ببعض صفاته صلى الله عليه وسلم والتي استحقت هذا التوقير؛ أنه محفود، لا عابس، ولا مفند، أي يحفّه الناس لصدق كلامه ولجميل صفاته.

التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير مخالفة للترتيب المألوف في الجملة وخرق لنظامها في تبال مواقع الكلمات، قال الجرجاني عنه: "باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية" (الجرجاني، 1992).

وقال السامرائي: "إنه فن يعرفه أهل البصر بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة مواضع الكلام وليس ادِّعاء يُدَّعى أو كلمة تقال" وتغيير نظام الجملة يعد من أبرز عناصر الانزياح التركيبي، لما فيه من الفن البديع، وتتمثل صوره فيما يلي:

تقديم الخبر على المبتدأ:

ورد تقديم الخبر شبه الجملة على المبتدأ في قولها: "في عينيه دعج" وقولها: "في أشفاره وطف"، وكذلك "في صوته صهل" "وفي عنقه سطع" حيث تقدم شبه الجملة (في عينيه) على المبتدأ (دعج)، وكذلك في بقية الفقرات، وجاء هذا التقديم لمراعاة الحسن في نظم الكلام، وكذلك لمراعاة المشاكلة لرؤوس الفقرات في التسجيع، التي تنتهي كل واحدة منها بكلمة مكونة من ثلاثة أحرف. وورد مثل هذا النوع في القرآن

الكريم في قوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة 22- 23) حيث تقدم شبه الجملة (إلى ربها) على المبتدأ (ناظرة)، قال ابن الأثير: "إن التقديم جاء لمراعاة الحسن والمشاكلة لرؤوس الآيات".

ومن مظاهر التقديم في وصف أم معبد في الجملة الفعلية هو تقديم المفعول على فاعله، وذلك في قولها: "إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء". فتقدم المفعول به وهو الضمير في (علاه) على فاعليه (الوقار والبهاء). والمعنى البلاغي الذي قُدِّم من أجله هذا المفعول، ما يبرز فائدة الاهتمام به؛ لأنَّه في هذه الحالة كان نصب عين المتكلم؛ لأنَّ مدار الحديث كان عنه صلى الله عليه وسلم، فكان الأولى أنْ يتقدَّم على الفاعل؛ لأنَّه الأهم. وهذا نظير قوله تعالى في تقديم (القسمة) على لفظ (أولو) في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ ..... ﴾ (النساء 8) وذلك للاهتمام بقسمتها (النوري، 2008).

خامساً: الانزياح الصرفي:

الصَّرْف في اللُّغة: هو التغيير والتحويل، ، قال تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ (البقرة 164) أي تغييرها وتحويلها، ولا يبعد المعنى الاصطلاحي عن اللغوي فهو بمعنى التغيير.

وفكرة الانزياح جليَّة في فن الصرف وهو الانتقال من صيغة إلى أخرى.

الانزياح من اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة:

ورد هذا النوع من الانزياح في قولها: "ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه"

فقد انزاح التعبير عن لفظة (ظاهر) وهو اسم فاعل، إلى لفظة (أبلج) وهي صفة مشبهة، ولعلَّ سر هذا الانزياح أنَّ لفظ (ظاهر) لا يدل على الحدوث الطارئ، وإنما دلالته على الثبوت، والدليل على ذلك، أنَّ السياق بعده بالصفة المشبهة (أبلج – أقرن – أزج) دليل على الثبات والديمومة في حسنه صلى الله عليه وسلم، وقد ورد اسم الفاعل بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ ﴾ (الكافرون 4) فاسم الفاعل (عابد) هنا دال على الثبوت فكأنه قال: عبادة غير الله لا تكون فعلاً لي ولا وصفاً.

الخاتمة :

الحمدُ لله الذي وفقني لاتمام هذه الدِّراسة التي وقَفْتُ فيها على الأنزياح الاستبدالي والتركيبي في وصف أم مَعْبَد للنَّبي صلى الله عليه وسلم .

وخلصت الدراسة الى مجموعة من النتائج منها :

1. أنَّ مصطلح الانزياح شائع في التُّراث العربى القديم ولكنْ بمسميات مختلفة.
2. أنَّ أسلوب ام مَعْبَد فريد في بلاغته وتراكيبه مما جعله ينزاح عن اللُّغة المألوفة ، إذ لا نجد فيه لفظاً انزاح عن موقعه إلا لغرض يقوِّي هذا الوصف.
3. يعد الانزياح الاستبدالي والتركيبى من أبرز أنواع الانزياح التى وظَّفَتْها أم مَعْبَد للكشف عن وصف النَّبي صلَّى الله عليه وسلم مما يدلُّ على دقَّة التَّصوير وجمال الأسلوب .
4. أنَّ أم مَعْبَد لم تكن مدركة لمفهوم الانزياح ولكنْ أوْرَدته بطريقة هى غاية في الروع والبيان تدلُّ على سليقة العرب التى جُبِلُوا عليها فى معرفة أساليب الكلام .
5. لم يستطع أحدٌ من الشُّعراء والأُدباء رسم صورة النَّبي صلَّى الله عليه وسلم كما رَسَمَتْها هذه البدوِيَّة وهذا يرجع لأمرين.

أ- أنَّ جلال النَّبي صلى الله عليه وسلم منع واصفيه من النَّظر اليه .

ب- أنَّ الرَّجل لايستطيع وصْف الرجل ، أمَّا المرأة فتستطيع ذلك بالإضافة إلى أنَّها لم تعرفْه من قبل .

المصادر والمراجع :

1. أبن ثابت ،حسان (1974م)،الديوان ، تحقيق وليد عرفات ، دار صادر، بيروت.
2. أبن منظور ،محمد بن مكرم بن علي، 1414هـ ، دار صادر ، بيروت، ط 3.
3. أبن هشام (1411هـ)، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل.
4. أبو الحسن ، وفاء (2010م)، ماجستير كلية اللغات جامعة السودان، منهج الانزياح من خلال نظرية النظم.
5. البغدادي ، محمد بن حبيب (1983م)،المحبر.
6. البغوي ،الحسين بن مسعود (1983م)، شرح السنة، المكتب السلامي، دمشق.
7. الطبراني ،سليمان بن أحمد ابوالقاسم (1983م)، المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد.
8. العسكري، أبوهلال (1984م) ،الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحه ، دار الكتب العلمية، بيروت.
9. القزويني ،الخطيب (1993م)، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح أمجد عبدالمنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت.
10. المسدي ،عبد السلام (1993م)، الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح، القاهرة ، ط4.
11. النوري، أحمد غالب (2008م)،أسلوبية الانزياح في النص القراني ، جامعة مؤته ، رسالة دكتوراه.
12. بو خاتم ، مولاي علي(2001م)، مصطلحات النقد العربي السيماوي، الإشكالية والأصول والامتداد، دمشق ، اتحاد الكتاب العرب.
13. الجرجاني(1992م)، دلائل الاعجاز ، علق عليه محمود محمد شاكر ، مطبعة الخانجي القاهرة.

14. راضي ،عبد الحليم(2003م)، نظرية اللغة في النقد الأدبي ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ، ط1.

15. رولان، بارت (1970م)، الكتابة في درجة الصفر ، ترجمة نعيم الحمصي ، دمشق.
16. سليمان ، فتح الله أحمد (1990م)، الأسلوبية ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر.
17. صلاح ، فضل(1889م) ، علم الاسلوبية ومبادئه وإجراءاته ، القاهرة ، دار الشروق .
18. طاليس، ارسطو (1967م)، صيغة الشعر ، ترجمة شكري محمد عباد ، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ط1.
19. عبد القادر ،البر(2010م)، الانزياح في محوري التركيب والاستبدال، مجلة الآداب واللغات ، جامعة قاصدي مرباح الجزائر ، العدد التاسع.
20. عبد المطلب ، محمد (1984م)، البلاغة و الاسلوبية ، الهيئة المصرية العامة.
21. كوهين، جان (1986م)، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، المغرب ، ط1 .
22. مجلة مجمع اللغة العربية (1964م) ، عن الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، دمشق ، العدد (39)، تشرين الاول،ص: 592.
23. نظري ،علي ، ويونس وليئي(1392هـ)، ظاهرة الانزياح في شعر أدونيس ، ورقة بحثية ، جامعة لرستان ..
24. ويس، أحمد محمد (2003م)، الانزياح في منظور الدراسات الاسلوبية، مؤسسة اليمامة، الرياض ، ط1.